

الأشكال الفنية في التعابير الفكاهية - قراءة في النكتة

الباحثة بن قدور حورية / اشراف الاستاذ: يزلي بن عمر

جامعة وهران 2 محمد بن احمد

الملخص

تمثل التعابير الفكاهية في المخزون الثقافي المجتمعي، إحدى الركائز لفهم المجتمعات والجماعات الإنسانية، فمن جهة يمكن اعتبارها مرآة صادقة لما تحمله من قيم ومعتقدات وممارسات وتصرفات... ومن جهة أخرى تكشف لنا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن الجوانب الخفية في المجتمع، سواء كانت في شكل مواقف أو تطلعات أو رغبات مكبوثة.

كما أن عملية إبداع وابتكار العمل الفني الذي يقصد به إثارة الضحك والذي تتضمنه الفكاهة والنكتة بشكل خاص، هو عمل شاق يتطلب شروط ومبادئ للتمكن من خلق وإنتاج تعابير فكاهية تتوفر على مضامين العمل الفني والشكل الجمالي.

الكلمات المفتاحية

الفكاهة، النكتة، التعابير الفكاهية، الإبداع، الوظيفة، العمل الفني

مفاهيم الدراسة

1/ الفكاهة:

لاشك أن كلمة الفكاهة من الكلمات التي اختلف الباحثون في وضع تعريف دقيق لها، والسبب في ذلك كثرة الأنواع التي تتضمنها وكذلك اختلافها في ما بينها، خاصة أن معانيها كانت في تعدد من ثقافة لأخرى. "ففي المعاجم العربية يرتبط معنى الفكاهة بالضحك والمزاح، والفكاهة هي كل ما يستطاب ويستطرف من الكلام، فكه أصل صحيح يدل على طيب واستطابه من ذلك الرجل الفكه: الطيب النفس والشخص الفكه هو الذي يمتلك القدرة على الإضحاك عن طريق الكلام، وهو الذي يتسم بطيبة النفس، وبدوام الضحك وكثرة المزاح"¹ ومن التعاريف الحديثة للفكاهة يأتي على ذكرها السيد أنيس فريحة بحيث يحاول وضع تعريف شامل لها فيقول: "الفكاهة قدرة عقلية وروحية تستطيع أن تكشف هذه العناصر المضحكة المتناقضة في الأقوال والأفعال والحركات والمواقف وتتجاوز معها وتعبر عنها ضحكا أو ابتسامة أو رضا روحيا"².

2/ النكتة:

هي أحد أنواع الفكاهة وأكثرها شيوعا، ولا تتفق الأدبيات على تعريف واحد موحد للنكتة. "هي تعبير عن رغبة وتنفييس عن شعور مكبوت، وتفريغ انفعالي بخصوص مسألة استعصى على الذات حلها"³ كما أنها "شكل من الأشكال التعبيرية، فهي موقف ورأي ساخر تجاه موضوع ما، تريد نقله إلى الآخرين وإحساسهم به، من أجل كشفه ومعرفة كنهه وما يحتويه من عيوب ومفارقات اجتماعية، سياسية، نفسية ودينية في ثوب لغوي خفيف ترفيحي وفكاهي"⁴.

3/ السخرية:

إن السخرية لا تعني الضحك من أجل الضحك فالموضوع الساخر يجعل قارئه أو مستمعه يبكي من فرط الضحك وفي الوقت نفسه يضحك من فرط الألم، كما أن "السخرية تقف على رأس الأساليب الفنية الصعبة، إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا تطويلا أو تقزيمًا، هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع، غير ان أسلوب السخرية يختلف من عصر إلى عصر، ويتفاوت من مبدع لآخر"⁵.

4/ التعابير الفكاهية:

يقصد بالتعابير الفكاهية، تلك التعابير التي يصوغها المبدعون في الجانب الفكاهي. قصد إثارة الضحك وخلق أجواء الفرح والتسلية، "فإنتاج النص الفكاهي يتطلب شروطا تتعدى السطحية في معرفة الواقع لتصل إلى كنه المجتمع، وتتغلغل في نفسية الأفراد"، لتصل الرسالة وتحقق غرضها الظاهر والخفي.

إن البحث في موضوع التعابير الفكاهية وبالأخص النكتة، هو بحث في موضوع معقد ومتشعب ذلك لأنه ذو صلة بعلوم كثيرة مثل: علم النفس، علم الاجتماع، علوم اللغة، علم السياسة والأنثروبولوجيا. كما أنه يتداخل مع موضوعات عديدة أخرى مثل: الاتصالات، الترفيه، الصحافة والإعلام وكذلك النقد خاصة في شقيه الاجتماعي والسياسي. وأخيرا صلته بالأعراف والعادات والتقاليد الثقافية للجماعات.

ومن أهم مميزات الفكاهة (خاصة في الأدب العربي) أنها كانت تخصصا في أفراد بعينهم يبرزون في أدب أمة ما، وتتخذهم حكاياتها وأخبارها وسيلة من وسائلها في التعبير عن كل المواقف المختلفة، وعن الأحوال والظروف التي تمر بها أمتهم، هذه الظروف المتغيرة والمتبدلة كانت السبب الرئيسي لتنوع وتغير تعابير الفكاهة وتطور أساليبها في ظل تعاقب الزمن وتعاقب الأشخاص الذين تسكب الأمم نوادرها وسخرتها عليهم.

إن الفكاهة والضحك والابتسام والبشاشة والمرح والمزاح والدعابة والهزل والكوميديا والنكتة والملحة والنادرة هي كلها ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس، فتلمس في اللهو ترويجا عن طريق الفكاهة قصد التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يثقل كاهلها⁶. وكما يقول نعمان محمد أمين طه: "فليس هناك وسيلة للتخلص من العواطف المؤلمة المختلفة إلا بحركة ذهنية داخلية تطرد هذه الآلام خارجا ولا تتولد هذه الحركة إلا بالضحك"⁷. فتراكم الكد والجد في حياة الأفراد قد يصل بهم لدرجة النصب والإجهاد، ولو طال بالبشر حال النكد والكد بلغ بهم الشؤم والملل المراتب الكبرى، لذلك يرغب الإنسان ويحذ بشكل قوي التجديد وإظهار ذلك النشاط الخفيف والحركة المرحة المتمثلة في الضحك والفكاهة والتسلية، فلا فرق في ذلك بين كل أصناف البشر ومستوياتهم وطبقاتهم إن كانوا بداءة أو متحضرين، رجال أو نساء، متعلمين أو غير متعلمين، كبار أو صغار أغنياء أو فقراء.

لكن وبالرغم من ميل الإنسان الكبير إلى الفكاهة، إلا أن أشكالها ومفاهيمها كانت دائما في تغير وتجدد من ثقافة لأخرى، متأثرة في ذلك باختلاف الزمان والمكان. فلكل عصر فكاهته الخاصة التي يتميز بها عن باقي العصور والمراحل، ويدخل في هذا التجدد تطور الحياة (ايا كان مستوى هذا التطور سريع أو بطيء، ايجابي أو سلبي) واختلاف الأذواق وتباينها، "فالكل يرى في فن الفكاهة، فن ينم عن ألم دفين ويشف من كرب خفي، يريد للجوء إليه ليداوي ألمه بالضد ويشفي كربيه بالنقيض. لذا كان الدافع إلى الفكاهة والباعث لها كان يختلف من عصر لعصر آخر"⁸ بالإضافة إلى ذلك فالفكاهة تظهر لنا فردية خاصة بشخصيات ومرات أخرى نجدها تتميز بطابع جماعي يخص جماعة بشرية، لكن الهدف في كليهما هو واضح وموحد وهو التنفيس ومحاولة الهروب من العالم الواقعي الحقيقي للأفراد الذي يحمل لهم الكثير من الاوجاع ويسبب لهم العديد من الآلام إلى عالم يخفف عنهم تلك الآلام ويساعدهم على نسيانها أو بالأحرى تناسيها، ولهذه الخصوصية أرتبط تاريخ الفكاهة بتاريخ البشر.

والنكتة باعتبارها الصنف الفكاهي الأكثر شيوعا بين الأفراد⁹، تنطلق غالبا "من فلسفة اجتماعية متفائلة ومسالمة، تتفق وظائف الضحك فيها مع الرغبة الناعمة في التقارب والإصلاح الاجتماعي. وقد وصف فرويد نكات المهزلة بأنها نكات كتارسية (أي تطهيرية) أساسا إنها تحرير لا إثارة"¹⁰. كما أن الكثير يرى بأن النكتة تولد لدينا ضحك المهزلة والذي يقول عنه الدكتور ابراهيم عبد الله غلوم في مؤلفه بنية الكوميديا الهزلية بأنه: "الثار السلمي العادل لجماعة الضعفاء، مما يجعله أدعى لان يقترن بالوظيفة الاجتماعية النافعة، لا باعتباره أداة محافظة تضمن بقاء التقاليد والتشوهات الثقافية، واستمرار الآداب العامة المرعية فحسب، وإنما باعتباره أيضا وسيلة فعالة لتحقيق ضرب من التغيير الاجتماعي"¹¹.

فالنكتة من أنواع الفكاهة بل هي لفظة مرادفة لها (في أغلب استعمالاتها)، فميزة النكتة انها فن فيه خلق وصناعة وذكاء حاد، والنكتة البارعة يجب أن تتوفر فيها ثلاثة عناصر:

أولا: توقد الذكاء، ثانيا: سرعة الخاطر، وثالثا: الشعور بالانتصار المفاجئ على الضغط والحرمان¹². واستعمالنا للفظه النكتة والتكيت نقصد من وراءه كل ما يدل على إثارة المرح والسخرية والضحك.

رغم كل التعاريف الكثيرة للنكتة إلا أننا نجد أن الكاتب بوعلي ياسين من خلال مؤلفه الهام -بيان الحد بين الهزل والجد والذي هو عبارة عن دراسة في أدب النكتة، يضع تعريفا شاملا هو أن: "النكتة هي حديث يتضمن مفارقة تقدم متعة تعويضية بما يناسب المتلقي"¹³.

وبالتالي جعل من النكتة تتضمن كمفهوم ثلاث عناصر رئيسية (بصورة مجتمعة): هي المفارقة أي حدوث نقلة وبصورة غير متوقعة وبين مستويين لا يلتقيان أي من الأعلى إلى الأدنى، والمتعة التعويضية أي المتعة عوض الواقع المر، والتواطؤ الذي يكون بين الراوي والمتلقي وهو شرط ثقافي إثني يتعلق بالمجتمع المعني. من خلال هذا التعريف يتضح أن النكتة تتعدى الحكاية التي يكون الراوي منفردا في سردها والمتلقي يكون مستمع ومصغي فقط، في حين النكتة تتطلب حضور فعلي للمتلقي وأحيانا تتعدى ذلك لتفرض على المستمع الابتعاد عن المنطقي والواقعي والدخول مع النكات في عالم الخيال واللامبالاة للمجريات ضمن حيتيات النكتة، فكلاهما يريدان تحقيق الهدف وهو الضحك والفرح.

1 - طبيعة التعابير الفكاهية في النكتة

لقد ادركت العديد من الشعوب أهمية الترفيه، وضرورة طرق باب الفكاهة، لما فيها من إمتاع وإيناس وإضحاك، ولأن في كثير منها طرافة في الفكرة ومهارة في التعبير والتصوير، والكل أجمع أن الآداب الإنسانية على غرار الأدب العربي إهتم وطور أساليبه الأدبية بما فيها الأساليب ذات الطابع الفكاهي الساخر والترفيهي.

إن الإنطباعات الفكاهية غالبا ماتولدت بواسطة اللغة¹⁴، فنجد التميز في النكات بين: الفكاهي الذي تعبر عنه اللغة والفكاهي الذي تخلقه اللغة، فالاول يمكن ترجمته وحمله على العديد من اللغات والثقافات المختلفة ولو بصعوبة، لكنه يفقد بروزه كخصوصية ثقافية معينة (خصوصية البيئة الأصلية). اما الثاني فلا يمكن ترجمته إطلاقا فهو مركب لغوي واللغة فيه هي فحوى الفكاهة والنكتة. وهذا ما نجد تفسيره عند الكاتب بوعلي ياسين حين يقول: "ننتقل من النظرة إلى النكات بحسب تجلياتها أو مظاهرها، إلى النظر إليها من حيث المادة التي تتصنع منها النكتة. فنميز في هذه الحالة بين نوعين رئيسيين من النكات: نكتة الألفاظ ونكتة الأفكار"¹⁵.

• نكات الألفاظ

تتميز نكتة الألفاظ باستخدامها لعبة الكلمات لتصل إلى هدفها الهزلي، وأغلب هذه النكات لا يمكن ترجمتها ونقلها إلى غير ثقافتها او مجتمعتها، ومن هذه النكات: (ما يروى عن أستاذ الرياضيات المتدين انه كان يعلم التلاميذ. فقال: الخطان المتوازيان لا يلتقيان إلا بإذن الله، وإذا التقيا فلا حول ولا قوة إلا بالله) فيصل إلى أذهان التلاميذ استحالة لقاء الخطان المتوازيان من خلال المعنى. ونكتة أخرى في نفس السياق تقول: (يروى أن شيخا كان يعلم بنات القرية القرآن وفي آية "دعهم في ضلالهم يعمهون" كانت البنات يقرأن "دلالهم" وكان الشيخ يتعصب ويصر على تفخيم الضاد، فمر عليه أحد الشباب فقال له: يا شيخ اتركهم في دلالهم وابق أنت في ضلالك). إذن من خلال هاذين النموذجين نصل إلى أنهما نابتعتان من خصوصية ثقافية دينية لغوية. هذه الخصوصية تزيد من صعوبة نقلها دون ضياع العنصر الهزلي الساخر منها. فترجمتها ستجعل منها مادة مترجمة بلا معنى.

• نكات الأفكار

أما نكات الأفكار فهي الأكثر شيوعا وانتشارا من أي نوع آخر، وهي سهلة النقل والترجمة من لغة لأخرى ومن ثقافة لثقافة مغايرة، كما أنها من النوع الذي لا يعرف بالضبط موطنها الأصلي باعتبار أن الشعوب تناقلتها عن بعضها البعض واسقطتها على حالها نظرا لتشابه الظروف والأحوال والخبرات، وحتى امكانية التواصل المكاني مع السبق الزمني. هذا ما يخلق تطابق هذه النكات شكلا ومضمونا مع تغير الشخص والافراد والمجتمعات. ومن نماذج هذه النكات ماييلي: (أحد الشباب المتذمر من الوضع القائم يتمشى بالليل فتحرك شيء تحت رجليه فلما حمله فإذا به المصباح السحري فخرج له العفريت وقال له شبيك لبيك كل ماتطلبه يحضر بين أيديك، ففكر الشاب وللحظة أحس أن مأساته ستنتهي فطلب منه أن يوفر له مسكن يؤويه، فنظر إليه مليا ثم قال له لو كنت أقدر على احضار مسكن لما أمضيت عمري داخل هذا المصباح) وغيرها من نماذج النكات خاصة المتعلقة بالرؤساء والزعماء وحتى المتعلقة بالفساد وغيرها من الأمور المنتشرة داخل أغلب المجتمعات.

هذه النكات هي من النكات التي نسمعها في مجتمعات مختلفة ومتعددة الثقافات وبلغات كثيرة لكن بمضامين وصيغ متفحة وواحدة نظرا لتقارب وتمائل الظروف لدى الأفراد وفي مختلف المجتمعات. ولكن يضاف إلى هاتين الميزتين ميزتين أخريين لا تقل عنهما شأنًا هما نكات الأوضاع والنكات الحواسية.

• نكات الأوضاع

في هذه النكات لا يمكن الحديث فيها عن أية فكرة، إنما يتأتى الهزل من خلال الخطأ الموضوعي الملموس، وبالتأكيد يجري في هذه النكات التلميح بنفس الوسائل اللغوية. ومن هذه النكات مايلي: (قدمت الممرضة المولود للأب، فانحنى الأب فوق المولود وصاح: رائع إنه صبي ذكر؟ فصاحت الممرضة بدورها: لا. أترك اصبعي...). إن ذكر الممرضة لأصبعها هنا هو ضمن التقنية-تورية، وهي من يسمح بإيضاح الوضع.

• النكات الحواسية

وهي النكت التي تعتمد على الشفوية بالضرورة، "أي التي يصعب كتابتها أو قراءتها. والتي قد تكون سمعية أو بصرية، إذ يجري التأثير على سمع المتلقي أو بصره من أجل إضحائه"¹⁶. لكن هذا النوع من النكات ليس كثير الانتشار والتداول بالقدر الذي تتواجد به نكات الألفاظ والأفكار. ومن النكت الحواسية هذه النكتة التالية: (كان عدة أصدقاء يشغلون معا وفي أحد الأيام وقع حادث فأذى إلى وفات زميلهم، فطلب الجميع من أحد مقربيه حمل نيا وفاته لزوجته وأولاده. فأخذ يفكر في الورطة التي وضع فيها، ثم طلب من أصدقائه حمل المتوفي واللحاق به، ذهب إلى بيت المتوفي دق الباب فتحت الزوجة، فقال لها: أحمل لك خبرا سيئا. استغربت ثم قالت ماهو؟ قال لها: زوجك مدمن قمار وقد خسر كل امواله في القمار، فقالت: الله ياخذ عمره. وقال لها: حتى هذا البيت باعه ولعب القمار بأمواله، فقالت: الله ينتقم منه، فقال والمصيبة الأكبر أنه تزوج عليك زوجة ثانية، فقالت: يارب يدخلوه علي جثة حالا؟؟؟ فقال لأصدقائه وهو يشير بيده: بالله دخلوه عليها) يصل معنى هذه النكات عن طريق الكتابة والترجمة ولكن يكون ناقصا مقارنة بالتجسيد والشفوية.

2- أهم المصادر المشككة للتعابير الفكاهية في النكتة

إن عملية إبداع وابتكار العمل الفني الذي تتضمنه النكتة، والذي يقصد به إثارة الضحك ونشر روح المرح، لهو عمل شاق لأنه يتطلب الكثير من الإتقان والإلمام بكل حيتيات الحياة الاجتماعية (الفردية والجماعية)، "وكشرط أساسي يجب أن يكون المنتج لهذا العمل على قدر عظيم من حاسة الضحك والفكاهة"¹⁷ فخفة الروح وملازمة الفكاهة والضحك بالإضافة إلى امتلاك رصيد ثقافي واسع وإطلاع شامل على مجريات الحياة، وإدراك طبائع الأفراد هي السمة الأساسية للتمكن من خلق وإنتاج تعابير تتضمن الفكاهة والسخرية، كما أنها تتصف بالإبداع الفني والجمالي، وكل هذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال النكتة القادرة على منح الناس من خلال الضحك والتبسم الاحساس بالتفوق والانتصار والشعور بالرضا والقوة رغم الألم والقهر.

تقول الدكتورة نبيلة ابراهيم: "عندما يحس الشعب بضغط الحياة على نفسه، فإنه ينعز إلى الضحك والسخرية، وإن كان في الحقيقة يسخر من مشاكله التي يعاني منها. فالسخرية هي مقاومة ضد الآخر، ضد القوة التي لا يمكن مجابهتها اجتماعيا وبالقوة المادية، وصاحب المقدرة على ابداعها يملك ملكة فنية في غاية البطش والقوة"¹⁸.

تعتبر ظروف الحياة اليومية هي الملهم الأول والأساسي لكل المبدعين في الجانب الفكاهي (النكات، الكاريكاتور، السخرية، النقد الساخر، المسرح الساخر و...)، خاصة أن هذه الحياة ليست ثابتة ومعرضة لتغيرات عدة (قضايا داخلية وخارجية ...) بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية للمجتمع تضاف أيضا كمصدر أساسي درجات التفاوت النفسية والسياسية والثقافية والاقتصادية للأفراد، وكل ماله دخل مباشر أو غير مباشر في يومياتهم.

إن النكتة هي بنت المجتمع، المجتمع بكل ما يطرأ عليه خاصة إذا كان غامضا أو مجهولا تنال منه النكات. "غير أن المهم ليس فقط كون النكتة تنقل شيئا من حياتنا وواقعنا، بل كونها أيضا تعبر عن هذه الحياة وعن هذا الواقع. فهي إلى حد بعيد، تؤرخ في كل مرحلة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وحتى الاخلاقية القيمية وتواكب تطوراتها"¹⁹. ولأن النكتة تخضع دائما لما هو واقع وحدث فوري وأني متجدد، "نرى بعض النكات تموت بعض فترة قصيرة، كأن تكون أسيرة لحظتها التاريخية، فيما تبقى العديد من النكات قائمة لفترة معتبرة من الزمن لكنها تتعرض لبعض التعديلات، وهناك جزء من النكات يختفي زمنا معيننا ثم يعود للظهور"²⁰.

من العوامل التي تتحكم في تجدد وتطور النكات مايلي:

- مدى تعبير النكتة المعنية عن المرحلة أو الحالة الراهنة.

- عامل الملل والرغبة في التجديد.

- الأزمات والأحداث والمناسبات.

- تفاوت واقع حرية التعبير والرأي (الكبت والخوف و...).

- تعقيدات الحياة وتزايد الآثار السلبية في المجتمعات.

- الرصيد الثقافي والمقارنة بين المراحل.

وكما أن تجدد وتغير مضامين النكات وتوجهاتها تابع لظروف معينة تتحكم فيها، فإن زوالها أيضا يكون استجابة لظروف خاصة. والمتمثلة في زوال أساسها الاجتماعي الاقتصادي، أو بزوال الباعث لها، بالإضافة إلى التجاوب للجديد والرغبة في سماع تعابير جديدة في النكات. فلا وجود لنكات ثابتة مادام المجتمع يسير وفق قانون التطور كما يقول هيرقليط "إن التغير قانون الوجود وإن الاستقرار موت وعدم"²¹.

3-وظائف التعابير الفكاهية في النكتة:

إن التعابير الفكاهية وبكل أنواعها وأشكالها لها دلالتان واضحتان هما:

الدلالة الأولى: تعكس لنا التلطف في المحادثة والكلام وطيبة النفس، قصد نشر الضحك ورسم البسمة ومحاولة إيجاد منفذ للترويح.

الدلالة الثانية: فتدل على نوع من التهكم والسخرية عن طريق ذكر العيوب وفضحها وإظهار النقائص وكشفها.

ورغم هذا الاختلاف في الدلالتين إلا أنهما تضمنتا ميزة مشتركة وهي الضحك. وبالتالي هذا يسمح للفرد بوضع نفسه على مسافة من واقعه المعيش وبكل تفاصيله، بحيث يجعله يضحك بدل أن يبكي. وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني نيتشه عندما قال: "الإنسان اخترع الضحك لأنه تألم كثيرا"²².

قد تؤدي النكتة ووظائف عديدة ويمكن حصر بعضها في الجوانب الثلاثة التالي:

• الوظيفة السوسيوثقافية

يقول الكاتب السوري بوعلي ياسين: "إذا كان الفرح دليل السعادة، فهو من خلال ما نلاحظه في يومياتنا يتطلب الاجتماع، يرغب بمشاركة الآخرين، بينما يطلب الحزن الإنفراد، يميل إلى الانزواء والإنعزال"²³. فالاجتماع هو للمشاركة بالفرحة والاستزادة منها، والرغبة في تعميمها. أما في الانفراد بالحزن ينفر بسبب حالة الكآبة والأسى. فالنكتة إذن أداة ووسيلة تعكس لنا الضرورة الاجتماعية للفرح وتبرز التأثير المتبادل بين الاجتماع والفرح وبالتالي كلاهما يتضمن الآخر.

أما من الناحية الثقافية، فنحن نلاحظ الإنسان يبتدع أشياء ومظاهر بقصد الضحك، فمبتدع النكتة مثلا يسعى لإضحاكنا حتى وإن لم تكن سعداء. فمن خلال مضمون النكتة وتعبيرها الفكاهي يصور لنا منتجها الحياة بطريقة يتفنن في إعادة تمثيلها وتصويرها بغرض نشر الفرح والضحك وهذا ما يسميه الكثيرون الضحك الحياتي الذي يفرضه الواقع اليومي، والضحك الثقافي والذي نراه من خلال المنتج والمبتدع.

• الوظيفة الجمالية الفنية

يظهر الجانب الجمالي الفني الساخر في التعابير الفكاهية التي تحويها النكتة. مستخدما عدد الظواهر الجمالية والتي تبلغ ست ظواهر وهي كالآتي: "السامي والداني، الجميل والقيبح، المأساوي والساخر"²⁴ أو كما تعرف بالمتناقضات الثلاث. إن النكتة من خلال المضمون والتوجه الساخر فيها تتضمن الظواهر أو القيم الخمسة المتبقية (ليس مجتمعة)، فلا السامي نجى ولا الداني ولا الجميل ولا القبيح ولا حتى المأساوي. فغرضية ومقصدية النكتة تجمع بين المتناقضات لتحدث المفارقة والدهشة وبالتالي يكون التعبير صائبا موجها ومؤثرا. فالمضحك من السقوط أو التزلق اللاإرادي وغيرها من المفاجآت المثيرة للضحك، تعبر عن الظاهرة النفسية المتفاعلة، أما التعابير الفكاهية ذات الإتقان والإبداع فهي ظاهرة جمالية فنية تتعدى النفسي الواقعي.

• الوظيفة الإيديولوجية

يسرد رسام الكاريكاتور العربي الشهير ناجي العلي نكتة تختصر الواقع السياسي العربي من جهة وتظهر ميوله وتوجهاته من جهة أخرى. تقول النكتة: (قال قارئ حنظلة للمثقف الوطني المهتم بالكتابة، مقالك اليوم عن الديمقراطية أعجبنى كثيرا، ماذا ستكتب غدا؟ فأجابه الكاتب بكل ثقة: سأكتب وصيبي).

كثيرا ما تتضمن النكتة الممنوع والمحظور والطابو، وتتطرق لجميع الموضوعات دون استثناء، ولا تقيم حدود لإبداعاتها ولا تعترف بالقيود فهي أداة يستخدمها المبدع (في بعض المجالات) عند غياب حرية الكلمة، فهي اللغة الصامتة المشتركة بين أبناء المجتمع، لأنها تعتمد سياسة البناء على المجهول كما على المعلوم وتعتمد التعميم وعدم التصريح باسم من قيلت فيه غالبا لحماية النفس والابتعاد عن القضايا والمحاكم.

خاتمة

إذا كانت الأغلبية ترى فن الكاريكاتور إبداعا بالصورة، فإن فن النكتة هو إبداع بالكلمة المعبرة عن الضمير الشعبي، فمهما اختلفت أغراض النكتة تبقى هي أداة تعبيرية هزلية ساخرة تتجسد من خلال لغتها وأسلوبها العاميان. وتعتبر النكتة سهلة الصياغة، فمبدعها يرسلها بلغة الخطاب اليومي، لذلك فهي أكثر فهما وانتشارا بين الجماهير، وهي شفوية وليدة المجتمع واللغة فيها تمثل خطاب الشعب الذي يجسد شخصيته ومستواه اللغوي والحضاري والفكري.

النكتة تحمل بين طياتها دلالات جمالية فنية بأسلوب بسيط يعتمد على التراكيب الجاهزة والجمل القصيرة وكل مفرداتها هي من معجم الحياة اليومية الذي ينتجه الواقع بكل أبعاده، كما تبني النكتة على الإيقاع اللفظي المختصر لتسهيل حفظها و ليكون لها أثر إيقاعي في النفس من خلال التشبيهات والسجع والكناية. والنكتة هي اللغة الصامتة المشتركة بين أبناء المجتمع، لم تترك بابا إلا وطرقته، ولا سترا إلا فضحته باعتبارها مجهولة المبدع والقائل.

الهوامش:

¹. باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، المكتب الجامعي الحديث،

الاسكندرية، 2012، ص 15

². أنيس فريحة، الفكاهة عند العرب، مكتبة راس بيروت، بيروت، ط1، 1992، ص15.

³. عبد الحميد شاعر، الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و

الآداب، الكويت، العدد 289، يناير، 2003، ص126.

⁴. أ.د. محمد سعدي، مقدمة في أنثروبولوجيا - مظاهر الثقافة الشعبية- الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص

87.

⁵. شمسي واقف زاده، الأدب الساخر - أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، السنة3،

ع12، ب ت، ص 103.

⁶. بهيجة بن عمار، صورة المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد،

تلمسان، 2012/2011، ص 13.

⁷. نقلا عن رياض قزيجة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، ط1، 1998، بيروت، ص 72.

⁸. شمسي واقف زاده، الأدب الساخر - أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، السنة3،

ع12، ب ت، ص 101.

⁹. محمود بو كفوسة، النكتة الشعبية بمنطقة وهران، دراسة في مضامينها وأبعادها، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية،

جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/2007، ص136. 10. ابراهيم عبدالله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، دار

الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2012، ص1.69. 11. ابراهيم عبدالله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، المرجع السابق، ص96.

¹². بهيجة بن عمار، صورة المرأة في النكتة الشعبية، مرجع سبق ذكره، ص 34. 13. بوعلي ياسين، بيان الحد بين

الهزل والجد - دراسة في أدب النكتة - دار المدى، بيروت، 2013، الطبعة الثانية، ص 60.

¹⁴. ابراهيم عبدالله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، المرجع السابق، ص 23.

¹⁵. بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد - دراسة في أدب النكتة، ص 85.

- ¹⁶.بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد -دراسة في أدب النكتة، ص 85-86.
- ¹⁷. محمد علي السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، -دراسة تحليلية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2010، ص14.
- ¹⁸. نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974، ص 204.
- ¹⁹.بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد -دراسة في أدب النكتة، ص 98.
- ²⁰.بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد -دراسة في أدب النكتة، ص 98.
- ²¹. محمد بوكفوسة، النكتة الشعبية بمنطقة وهران 2007-2009 دراسة في مضامينها و أبعادها، مرجع سبق ذكره، ص 98.
- ²². غريبي عبد الكريم، الفكاهة في مسرح عبد القادر علولة بين الإبداع والافتباس -دراسة لأربع نماذج، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012، ص55.
- ²³. بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد -دراسة في أدب النكتة، ص 18.
24. عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985، ص 129..

المراجع:

1. عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985.
2. غريبي عبد الكريم، الفكاهة في مسرح عبد القادر علولة بين الإبداع والافتباس -دراسة لأربع نماذج، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012.
3. بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد -دراسة في أدب النكتة-، دار المدى، بيروت، الطبعة الثانية، 2013.
4. نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974.
5. محمد علي السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، -دراسة تحليلية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2010.
6. شمسي واقف زاده، الأدب الساخر -أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، السنة3، ع12، ب ت.
7. محمود بو كفوسة، النكتة الشعبية بمنطقة وهران، دراسة في مضامينها و أبعادها، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/2007.
8. ابراهيم عبدالله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2012.
9. بهيجة بن عمار، صورة المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012.
10. رياض قزيجة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، ط1، 1998، بيروت.
11. اسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2012.
12. أنيس فريحة، الفكاهة عند العرب، مكتبة راس بيروت، بيروت، ط1، 1992.
13. محمد سعدي، مقدمة في أنثروبولوجيا -مظاهر الثقافة الشعبية- الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
14. عبد الحميد شاكر، الفكاهة و الضحك: رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد 289، يناير 2003،
15. عمار يزلي، العالم العربي و النكتة السياسية: (آليات إنتاج وتسويق: الجزائر نموذجا). بحث معد للنشر.